الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة
معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع:.....

بلاغة المحسنات البديعية في مقالات عيون البصائر لمحمد البشير الابراهيمي أنموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي

تخصص: لسانيات تطبيقية

إعداد الطلبة:

*- موسى تامن

*- عبد الرحيم بوالقرارة

*- عبد الحميد يخلف

إشراف الأستاذة:

*- سامية بقاح

السنة الجامعية:**2018-2019**

بسم الله الرحمان الرحيم

" يموت العظماء فلا يندثر منهم إلا العنصر الترابي الذي يرجع إلى أصله

وتبقى معانيهم الحية في الأرض ، قوة تحرك ، ورابطة تجمع ، ونورا يهدي ،

وعطرا ينعش ، وهذا هو معنى العظمة "

محمد البشير الابراهيمي

جريدة البصائر

العدد 151 سنة 1951

تشكرات

بسم اله الرحمن الرحيم ، وبه نستعين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين وبعد :

يقول الله جل جلاله ﴿يرفع الله الذين امنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾.

صدق الله العظيم.

ويقول صلى الله عليه وسلم «من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة »

نشكر الله عز وجل ونحمده على توفيقه وكرمه علينا بإتمام هذا البحث المتواضع ونتقدم بالشكر الجزيل

لأستاذتنا المشرفة السيدةّ: سامية بقاح

التي لم تبخل علينا بتوجيهاتها وإرشاداتها القيمة طوال مدة البحث ، ونتقدم أيضا بالشكر الجزيل إلى السيد مدير المركز الجامعي ، الذي لم يأل جهدا في توفير الجو المناسب للدراسة ، كما نتقدم كذلك بالشكر لكل الأساتذة الذين درّسونا طوال فترة تواجدنا بالجامعة ، كما لا ننسى أن نشكر رئيس جمعية العلماء المسلمين مكتب ولاية ميلة وكذا زملاءنا الطلبــة دفعة 2018-2019، والى كل طلبة الجامعة عموما ، وكل الطاقم الإداري وكل عمال المركز الجامعي .

عبد الحميد ـ عبد الرحيم ـ موسى

عبد الحميد ـ عبد الرحيم ـ موسى

اهداء

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ...

إلى أمي ؛ نبع الحنان ؛ إلى من حملتني وهنا على وهن ....

إلى أبي الرائع ، ذلك السند المتين الذي غمرني بموفور الحب والعطاء ...

إلى زوجتي الغالية ، التي آزرتني وكانت الدعم المعنوي طيلة أيام دراستي بجامعة ميلة ...

إلى أبنائي الأعزاء ، يعقوب . يوسف . عبد البارئ ...

إلى إخوتي وأخواتي ...

إلى كل عزيز على قلبي...

إليهم جميعا، أهدي ثمرة هذا العمل.

عبد الحميد يخلف

عبد الحميد يخلف

اهداء

- إلى روح أبي الزكية الطاهرة .
- إلى روح أمي العزيزة الغالية ، أسأل الله العظيم أن يسكنهما فسيح جناته العالية .
- إلى إخوتي وأخواتي أصحاب القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البريئة .
- إلى زوجتي شريكة حياتي ومعينتي على نوائب الدهر، والى أبنائي قرة عيني ورياحين قلبي .
- إلى كل أصدقائي الذين جمعتني بهم صداقة نقية صافية.
- إلى كل من علمني حرفا في هذه الدنيا الفانية .
- إلى كل هؤلاء وهؤلاء اهدي هذا العمل المتواضع ، وأسأل الله الكريم أن يجعله نبراسا لكل طالب علم .

آميـــــــــــــــن.

عبد الرحيم بوالقرارة

عبد الرحيم بوالقرارة

اهداء

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ... محمد ابن عبد الله

إلى روح أبي الطاهرة ، رحمك الله وأسكنك فسيح جنانه..

إلى أمي ؛ نبع الحنان ؛ إلى من حملتني وهنا على وهن ....

إلى زوجتي ورفيقة دربي ...

إلى أبنائي الأعزاء واحدا واحدا...

إلى أخي حفظه الله وإلى أخواتي العزيزات ...

إلى كل الأصدقاء...

إليهم جميعا، أهدي ثمرة هذا العمل.

موسى تامن

موسى تامن

مقدمة

مقدمة

الحمد لله العلي القدير ، ثم الصلاة والسلام على محمد بن عبد الله البشير النذير والصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد .

بلغت العرب من الفصاحة والبيان المراتب العُلا ، فصارت البلاغة عندهم كساق أخيه ماءً زللا ، فبرعوا في فنون عدة ، في الشعر كما في النثر ، إلى أن تحداهم الله بالقرآن الكريم فأعجزهم ، ليبقى إلى يوم الدين حجة لهم وعليهم ، فمن اغترف منه أخذ بحظ وافر من لم يغترف فهو القاصر الخاسر .

شرف الله اللغة العربية بأن أنزل القرآن بلسان عربي مبين ، مصداقا لقوله تعالى : ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُم تَعْقِلُونْ)** ﴾ [يوسف الآية 2] ، ثم حمل الصحابة والتابعيين على عاتقهم حق القرآن عليهم ، فكان أن هبوا جميعا للذود عنها والحفاظ عليها بعد أن دخل الأعاجم في دين الله أفواجا واختلطت الألسنة وتفشى اللحن . لا سيما عند قراءة القرآن فظهرت العلوم وتعددت ، فألفوا في النحو وقعدوا وبرعوا في الصرف وأقسطوا فكتبوا المعاجم والمقاييس ، كالخليل ابن احمد الفراهيدي ، وسيبويه ، وابن جني وأبي الأسود الدؤلي وغيرهم ، كيف لا وقد أشربوا حب القرآن ألفاظاً ومعانٍ ، فتدارسوه وقاسوا إليه لغتهم الجميلة ، وجاء بعدهم البلاغيون فبرعوا في فنون البلاغة ، ومن أمثال هؤلاء الإمام عبد القاهر الجرجاني ، والزركشي ، والقزويني وابن قدامة الذين أسسوا لعلوم المعاني و البيان والبديع ، أما المتأخرون فقد أفردوا لها المباحث وأعطوها حقها ، وعلى رأسهم يوسف الخطيب ، أحمد الهاشمي ، محمد عبد المطلب وغيرهم ، ومن العلماء والخطباء كذلك من استطاع توظيف ألوان البديع في الخطاب بغية التأثير في السامع أو القارئ وخير مثال في بلدنا الحبيبة مقالات شيخنا العلامة محمد البشير الإبراهيمي التي نشرها في مجلة البصائر فكانت فعلا عيونا للبصائر .

لذا حاولنا في هذا البحث أن نبرز الدور الذي تلعبه المحسنات البديعية بألوانها في جعل الخطاب أكثر بلاغة ، وعليه جاء موضوع بحثنا هذا موسوما بـ " **بلاغة المحسنات البديعية في مقالات عيون البصائر لمحمد البشير الإبراهيمي أنموذجا** " والذي يحوي في طيها مجموعة من التساؤلات نوردها كما يلي :

ـ ما هي المحسنات البديعية ؟ وما هي أقسامها ؟

ـ إلى أي مدى نستطيع البرهنة على بلاغة المحسنات البديعية في الخطاب

ـ هل نجح الشيخ محمد البشير الإبراهيمي من خلال مقالاته بعيون البصائر استخدام المحسنات البديعية والتأثير بها في المتلقي .

وقد فرض علينا هذا البحث إتباع المنهج الوصفي بإجراءات تحليلية ، حيث سنحاول من خلال هذه الدراسة الإجابة عن التساؤلات سالفة الذكر من أجل الوصول إلى:

- إبراز دور المحسنات البديعية في بلاغة الخطاب.
- الكشف عن دور علماء اللغة العربية عموما والبلاغة خاصة في التنظير لعلم البديع
- إظهار المكانة الحقيقة للشيخ البشير الإبراهيمي ، وإبراز دور مقالات مجلة عيون البصائر في شحذ الهمم .

إن اختيارنا لمقالات البشير الإبراهيمي في جريدة البصائر لم يكن اعتباطا بل رغبة منا في التعريف بهذا الصرح العلمي ؛ واعترافنا كذلك بموهبته الفذة في مثل هذا النوع وقدرته على مخاطبة كافة شرائح المجتمع بمختلف مستوياتهم الثقافية ، فتراه يخاطب عامة الشعب حينا ، وحينا آخر يخاطب الطلبة الجامعيين ، ويخاطب كذلك الفلاحين كما يخاطب نواب البرلمان الجزائريين ، ويخاطب رئيس الجمهورية الفرنسية وقادتها الأنذال.

وحتى يكون بحثنا هذا أصوب ، ومن العلمية أقرب ، جاء وفق خطة ممنهجة حيث قسمناه إلى فصلين ومقدمة مستفيضة تطرقنا فيها إلى كل الجوانب ، ومدخل رأيناه ضروريا أردنا من خلاله تقريب الصورة الحقيقية للشيخ محمد البشير الإبراهيمي تحدثنا فيه عن مولده ، نشأته ، مؤلفاته وأشهر ما قيل فيه ، كما تحدثنا فيه كذلك عن مجلة البصائر وتأسيسها ، ودورها في جمعية العلماء المسلمين ، فالمجلة والشيخ هما الأرض والماء اللذان أنبتا ألوانا من البديع بلغت مشارق الأرض ومغاربها ، شهرة أدبا وبلاغة وفصل الخطاب إيمانا منا بضرورة التعريف بهما أكثر ، واعترافا بالدور الذي لعباه في محاربة المستدمر الفرنسي بالقلم قبل السلاح .

فكان الفصل الأول الموسوم بـ" **البلاغة مفهومها نشأتها وعلومها** " نظريا ، حيث قسمناه إلى مبحثين ، في المبحث الأول تطرقنا لمفهوم البلاغة ، نشأتها وتطورها ، أما المبحث الثاني فخصصناه لعلوم البلاغة الثلاث ، وجاء مختصرا في علمي البيان والمعاني أما البديع فقد تعمقنا فيه أكثر باعتباره شاملا لموضوع للدراسة .

في حين أفردنا الفصل الثاني للدراسة التطبيقية على مقالات الشيخ محمد البشير الإبراهيمي المنشورة بجريدة البصائر ، و قسمناه إلى مبحثين ، المبحث الأول يختص بدراسة لونين من المحسنات البديعية اللفظية اللذين يوظفهما الشيخ في مقالاته بكثرة ، وهما السجع والجناس حيث بعد تعريفهما وبيان أنواعهما ، قمنا باختيار مجموعة من الشواهد التي تخدم دراستنا لهذا النوع من المحسنات ، كما خصصنا المبحث الثاني من هذا الفصل التطبيقي كذلك لدراسة محسنين بديعيين معنويين هما الطباق والمقابلة ، فبعد أن عرفناهما وشرحنا أنواعهما اخترنا مجموعة من الشواهد الدالة على توظيف الشيخ لهما في مقالاته ، مستخلصين أهم الملاحظات والنتائج . ولأن الحديث عن كل المحسنات البديعية في الفصل التطبيقي أمر ليس باليسير، ويتطلب منا الوقت الكثير لم نتوسع كثيرا ، من غير إفراط ولا تفريط ، أما

عصارة هذا البحث قمنا بصبها في خاتمة موجزة تضمنت جملة من النتائج التي اتضحت أثناء الدراسة والتحليل .

وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها :

- عيون البصائر للبشير الإبراهيمي .
- الإيضاح في علوم البلاغة (البيان المعاني البديع) للقزويني .
- لسان العرب لابن منظور .

بالإضافة إلى مصادر أخرى ساهمت في إثراء هذا البحث

إن موضوعا كهذا أكيدٌ أن الإحاطة به ، والإلمام بجميع حيثياته ، يأخذ الوقت الكثير ، ثم إن هذا الأخير أحد أهم معوقات المسير، ضف إلى ما سبق أعباء الحياة المختلفة من واجب مهني إلى آخر عائلي ، أما بالنسبة للصعوبات التي واجهناها خلال بحثنا هذا فنذكر منها :

ـ قلة المصادر والمراجع لا سيما الورقية منها .

ـ صعوبة تحليل لغة بعض علماء البلاغة .

لا يسعنا في الختام إلا أن نتقدم بشكرنا لأستاذتنا الفاضلة " **سامية بقاح**" ، فلولا فضل الله علينا **أولا** ، ثم نصائح وتوجيهاتها **ثانيا** ، بالإضافة إلى تشجيعها وتحفيزها الدائم وشروحها المستفيضة لكل ما وجدناه من مفاهيم مبهمة و مصطلحات معتمة **ثالثا** ، لبقينا نراوح أمكنتنا ، فالشكر على ما سبق من فضل موصول لها ، وعلى صبرها وتفهمها ، دون أن ننسى كذلك رئيس جمعية العلماء المسلمين مركز ميلة ، وإلى كل من ساهم وساعدنا في إنجاز هذا البحث ، وخير الكلام ما بدأنا به ـ وبه نختم ـ ، فالحمد لله على من اجتبى محمد النبي بالرسالة وخصه بكمال الفصاحة والبلاغة .

المدخل : البشير الإبراهيمي ... وعيون البصائر

I. التعريف بالكاتب :

أ) مولد محمد البشير الإبراهيمي:

ولد محمد البشير الإبراهيمي في 13 شوال 1306 هـ الموافق 14 يونيو عام 1889 م في بلدية أولاد إبراهيم بولاية برج بوعريريج .تعلّم بمسقط رأسه حيث « **تلقى تعليمه الأولي على يد والده وعمه، فحفظ القرآن ودرس بعض المتون في الفقه واللغة العربية** »[1] ،معروف عنه أنه كانت له ذاكرة قوية، فاستغلها في تعليمه للطلاب ؛ فجعل له برنامجاً تعليمياً في ليله ونهاره، وحفظ البشير القرآن الكريم مع معالم مفرداته وهو ابن تسع سنين كما تفقه في قواعد النحو والفقه والبلاغة.

ب) مشواره العلمي والأدبي:

غادر الجزائر عام 1911 ، فارا من الخدمة العسكرية كغيره من الشباب ملتحقاً بوالده الذي كان قد سبقه إلى الحجاز عام 1908، وتابع تعليمه في المدينة المنورة وتعرف على الشيخ ابن باديس عندما زار المدينة عام 1913، غادر الحجاز عام 1916 قاصداً دمشق، حيث اشتغل بالتدريس، وشارك في تأسيس المجمع العلمي الذي كان من غاياته تعريب الإدارات الحكومية، وهناك التقى بعلماء دمشق وأدبائها، أين تذكرهم بعد مرور حوالي ثلاثين سنة من عودته إلى الجزائر فيكتب في (البصائر) العدد 64 عام 1949: «**ولقد أقمت بين أولئك الصحب الكرام أربع سنين إلا قليلاً ، فأشهد صادقاً أنها هي الواحة الخضراء في حياتي المجدبة، وأنها هي الجزء العامر في عمري الغامر، ولا أكذب الله، فأنا قرير العين بأعمالي العلمية بهذا الوطن (الجزائر) ولكن ... مَن لي فيه بصدر رحب، وصحب كأولئك الصحب؛ ويرعى الله عهد دمشق الفيحاء وجادتها الهوامع وسقت، وأفرغت فيها ما وسقت، فكم كانت لنا فيها من مجالس نتناقل فيها الأدب ونتجاذب أطراف الأحاديث العلمية** » [2] .

---

[1] - أحمد الخطيب ، جمعية العلماء المسلمين وأثرها الإصلاحي في الجزائر ، د ط ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1985 ، ص 148.

2 - البشير الإبراهيمي ، عيون البصائر ، د ط، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1971 ، ص 649.

في عام 1920 عاد الإبراهيمي من دمشق إلى الجزائر، وبدأ بدعوته إلى الإصلاح ونشر العلم بادئ الأمر في مدينة سطيف، أين دعا إلى إقامة مسجد حر (غير تابع للإدارة الحكومية) ،يقول يوسف الخطيب « **كان أول اتصال للإبراهيمي بالشيخ ابن باديس بعد عودتهما إلى الجزائر في سطيف عام 1924 عندما زاره هذا الأخير وعرض عليه تأسيس جمعية الإخاء العلمي** »[1]، وبعد تأسيس الجمعية اُختِير الإبراهيمي نائباً لرئيسها، وانتدب من قِبل الجمعية لأصعب مهمة وهى نشر الإصلاح في غرب الجزائر وفى مدينة وهران التي تعتبر المركز الحصين للطريقة الصوفية .

ج) النشاط الإصلاحي:

بدأ الشيخ البشير الإبراهيمي مهمته من خلال مهنة التعليم التي كان يرى فيها وسيلة فعالة من أجل إصلاح أوضاع الجزائر، بتوعية الشعب وتعليمه مبادئ دينه ولغته حتى يكون مستعداّ للدفاع عنها أمام المستعمر، لكنه ما لبث أن اعتقل في 13 ماي 1945 بعد مذبحة 8 ماي (أيار) الشهيرة التي ذهب ضحيتها حسب الإحصاءات الوطنية في حينه 45 ألف مواطن جزائري أغلبهم من عمالة قسنطينة ، واستمر سجنه رفقة عدد من أعضاء الجمعية وباقي شخصيات الأحزاب الوطنية الجزائرية إلى غاية مارس من سنة 1946 ، ثم أفرج عنهم بموجب عفو عام ، ثم في عام 1947 عادت مجلة البصائر للصدور ، وكانت شخصية البشير الإبراهيمي وحنكته تهيمن عليها وحمل العدد الأول من سلسلتها الجديدة خلاصة مطالب الجمعية والأهداف التي تصبو إليها.[2]

مع قيام الثورة ضد فرنسا بالجزائر في 1954/11/1، أصبحت مهمة الإبراهيمي الكبرى دعم الثورة والتحريض على نصرتها، فكان أول قائد جزائري يحتضن الثورة ويؤيدها، وعليه نستطيع الحكم على أن مكانة الإبراهيمي في الثورة الجزائرية لا يمكن وصفها إلا بأنه « **روح الثورة** » التي يستلهم منها الشعب مبادئه .

[1] ـ أحمد الخطيب ، جمعية العلماء المسلمين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، ص 150

[2] ـ ينظر أحمد الخطيب ، جمعية العلماء المسلمين وأثرها الإصلاحي في الجزائر ، ص 154.

د) أهم ما قيل في البشير الإبراهيمي:

يقول الفيلسوف الفرنسي روجي غارودي في الشيخ محمد البشير الإبراهيمي :

« الشيخ الإبراهيمي كان ـ مع ابن باديس ـ كالشعلة التي بثت في الجزائر ثورتها الثقافية التي مكنت الشعب الجزائري من نيل استقلاله » .[1]

إن شهادة هذا الفيلسوف الأجنبي لهي دليل قاطع على الدور الكبير الذي لعبه الشيخ في اندلاع ثورة التحرير المباركة

قال الشاعر الكبير الأستاذ الشيخ محمد العيد آل خليفة ، والتي كتبها كمقدمة للطبعة الثانية من عيون البصائر :

عيون بها تجلو البصائر نورها علينا كما يجلو الكواكب مرصدا

تجلى بها نـور الهداية فاجتلى بها هدف الإصلاح من هو أرمد

وأطلعها فكـر البشير بأفقه فمـــا هـي إلا أنجم تتوقـــــد [2]

لقد استطاع شاعرنا بوصفه للشيخ محمد البشير الإبراهيمي في قصيدته الموسومة بـ مشاعل حكمة أن يبين الدور الإصلاحي الذي لعبه رفقة أعضاء جمعية العلماء المسلمين ويبرز مدى اتساع علمه ، وبلاغة خطابه ، فحسب الجزائريين مجدا، وفخرا، أن يكون منهم الإمام الأول للنهضة الإصلاحية الجزائرية، الشيخ عبد الحميد بن باديس، تغمده الله برحمته والإمام الثاني لهذه النهضة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي .

و) مؤلفات البشير الإبراهيمي :

كان "**البشير الإبراهيمي**" واسع المعرفة شأنه، شأن السلف الأول من حملة الثقافة الإسلامية، فكتب في الأصول والتشريع الإسلامي، وألف في اللغة وقضاياها الدقيقة وفي الأخلاق والفضائل الإسلامية.

وهذا بيان بمؤلفات الشيخ التي لا يزال بعضها حبيسًا لم ير النور:

[1] ـ مجلة الوعي ، دار الوعي للنشر والتوزيع ، العدد 2 ، الجزائر 2010 ، ص 16.

[2] - البشير الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص 11.

– عيون البصائر؛ وهى مجموعة مقالاته التي نشرت في جريدة البصائر.

– كتاب (عيون البصائر) ؛صدر أول مرّة في القاهرة سنة 1963 بإشرافه في دار (المعارف) بالقاهرة.

–أسرار الضمائر العربية.

–التسمية بالمصدر.

–الاطراد والشذود في العربية.

– رواية كاهنة أوراس.

– رسالة الصيب .

– فتاوى متناثرة.

ي) وفاة محمد البشير الإبراهيمي :

جاء في كتاب "**جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر**" تاريخ وفاة الشيخ ومكان دفنه : « **توفي الإبراهيمي يوم الخميس 20 ماي 1965(أيار) ودفن في مقبرة سيدي امحمد في الجزائر العاصمة** » [1].

ترك الشيخ محمد البشير الإبراهيمي وراءه رصيدا معرفيا وتاريخا مشعا بنور الإصلاح ، ليبقى للأجيال اللاحقة نبراسا يهتدى به في الأيام الحالكة .

II – التعريف بالمؤلَّف:

هو كتاب يضم مجموعة من المقالات التي كتبها الشيخ البشير الإبراهيمي افتتاحيات لجريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين،والطبعة التي بين أيدينا هي الطبعة الثانية من إنتاج الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر ، جمعها ابنه أحمد طالب الإبراهيمي بعد تزايد الطلب عليها ونفاذها من المكتبات ، وهذا المؤلَّف يحوي سبعمائة وأربع صفحات.

[1] -**أحمد الخطيب** ، جمعية العلماء المسلمين وأثرها الإصلاحي في الجزائر ، **ص 157** .

يقول ابنه عنها واصفا إياها :« **إنه عسير علي أن أعطي هذه المجموعة مكانها من سير البيان العربي ...ذلك أن الذين كانوا يقرؤونها في المشرق والمغرب كانوا يواجهون أسلوبا هو أشد ما تكون الأساليب رصانة وأقوى ما تكون جزالة وأقدر ما تكون على التفنن في المعالجة ...كان له من المشارقة صفاء البيان ومن المغاربة منطقية العرض وكان من أسلوب القرآن الكريم ـ تنوعا وأصالة ـ استمداده واستلهامه .**».[1]

إن مجلة «البصائر» التي كانت تصدرها جمعية العلماء المسلمين ظلت لجيل من المفكرين والسياسيين والمؤمنين بالقضايا المقدسة، مرآة تنعكس على صفحاتها ما يقاسيه الشعب الجزائري المستضعف من مآسي في كل بقعة من بقاع أرضنا الحبيبة ، هذه المجلة كانت توزع عبر كامل التراب الوطني ، وفي الخارج بسعر خمسين فرنكا [2] .

أما الطبعة الأولى لهذا الكتاب طبعت طبعا جيدا بدار المعارف بالقاهرة وهو يحتوي على ما يقارب 700 صفحة و140 مقالة... وقد أراد فيها المؤلف أن يبوب هذه المقالات حسب موضوعاتها ، وما ترمي إليه من مقاصد اجتماعية أو سياسية أو غيرها من القضايا التي تهم الشعب الجزائري ، وتهتم بها جمعية العلماء المسلمين في جهادها في فصل الدين الإسلامي عن الحكومة الفرنسية في الجزائر ومن أهم هذه الموضوعات :

- ✓ من مشاكلنا الاجتماعية
- ✓ جمعية العلماء والسياسة الفرنسية بالجزائر.
- ✓ جمعية العلماء والمغرب العربي
- ✓ جمعية العلماء وفلسطين.
- ✓ جمعية العلماء والشرق والإسلام.
- ✓ شخصيات .

[1] ـ البشير الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص 704 .

[2] ـ ينظر مجلة الوعي دار الوعي ص 84

إن هذه الأبواب لا تعني شيئا سوى أن المؤلف رحمه الله أراد أن يعطينا دليلا قاطعا على أن الأهداف التي كانت ترمي إليها مقالاته هي أهداف شمولية تتناول قضايا الهيكل العام لوحدة الدين واللغة والوطن وباقي الأماني المشتركة للشعوب الإسلامية في مشرق الدنيا ومغربها.

هذا عرض سريع عن فصول الكتاب وأهدافه... وهو لا يفيدنا شيئا دون التشويق لقراءة هذه التحفة الفنية والذخيرة الفكرية التي لا تقدر بثمن ، والتي تجدها في هذا الكتاب فالأديب يجد في عيون «البصائر» ثروة لغوية في الألفاظ والأساليب البيانية.

الفصل الأول

البلاغة مفهومها، نشأتها وعلومها

المبحث الأول : مفهوم البلاغة ، نشأتها وتطورها :

01 ـ مفهوم البلاغة :

أ) لغة :

جاء في لسان العرب : « **بلغ الشيء يبلغ بلوغا وبلاغا ، إذا وصل وانتهى .**

أبلغت الشيء إبلاغا وبلاغا ، وبلّغته تبليغا ؛ ومنه قول أبي قيس بن الأسلت السلمي :

قالت ، ولم تقصد لقيل الخنى مهلا فقد أبلغت أسماعي »[1]

يتبين لنا من المعاني التي جاءت في لسان العرب أن أصل الكلمة في اللغة تتمحور حول موضوع واحد وهو الوصول إلى النهاية والمبتغى ؛ أي أن يصل المرء مقصده وهدفه .

كما جاء في كتاب أساس البلاغة للزمخشري (مادة بلغ) عدة معان منها :« **بلغ الرجل بلاغة فهو بليغ وهذا قول بليغ ، وتبالغ في كلامه تعاطى البلاغة وليس من أهلها** » .[2]

إن المعنى الذي جاء به الزمخشري يقصد به تعاطي الكلام وهو نفس المعنى الذي جاء به ابن منظور ؛ فكلاهما يريدان أن يبينا أن البلاغة تكمن ، في الكلام وفي مدى إيصال معناه للمتلقي .

ب) إصطلاحا :

يجمع أهل البلاغة قاطبة أن البلاغة هي حسن الكلام مع فصاحته وذلك لا يكون إلا بأدائه لغاية المعنى، والبلاغة تطلق على الكلام وعلى الكلمة وعلى المتكلم فبلاغة الكلام هو مطابقتة لمقتضى الحال مع فصاحته [3].

---

[1] ـ ابن منظور ، لسان العرب ، د ط ، مجلد 8 ، نشر أدب الحوزة ، قم إيران 1405 ه ، ص 419 (مادة بلغ)

[2] ـ الزمخشري ، أساس البلاغة ، موقع روح الإسلام ، الجزء الأول ، ص 75.

[3] ـ ينظر : عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني ،البلاغة العربية أسسها ، وعلومها وفنونها ، ط 1 ، الجزء الأول ، دار القلم الدار الشامية ، دمشق بيروت، د ت، ص130.

ويشترط في بلاغة الكلام شرطين أساسيين هما :

الأول : أن يكون الكلام فصيح المفردات والجمل .

الثاني : أن يكون مطابقا لمقتضى حال من يخاطب به .

أما بلاغة المتكلم فيعرفها الخطيب القزويني قائلا : « **وأما بلاغة المتكلم فهي ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ** »,[1]

وحقيقة القول أن البلاغة هي حسن البيان وقوّة التّأثير، وتعني أيضاً الوصول إلى المعنى بكلام بليغ ، و يجب فيها مطابقة ومشابهة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته.

نستنتج أن البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة ، فمنها ما يكون في السكوت ومنها ما يكون في الاستماع ، ومنها ما يكون في الإشارة ومنها ما يكون في الاحتجاج ومنها ما يكون جواباً ، ومنها ما يكون شعرًا ، ومنها ما يكون سجعاً وخطباً ومنها ما يكون رسائلا.

2 ـ نشأة البلاغة و تطورها :

بلغ العرب في الجاهلية مرتبة رفيعة من البلاغة و البيان وقد صور الذكر الحكيم ذلك في غير موضع ، وما دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم وحجته القاطعة بأن دعاهم إلى معارضة القرآن في بلاغته الباهرة، وهي دعوة تدل في وضوح على ما أتوه في الفصاحة و البلاغة ،كما تدل على قدرتهم و بصيرتهم في التمييز بين الألفاظ و المعاني، و ما يجري فيها من جودة الإفهام و بلاغة التعبير ، حيث يروى أن الوليد بن المغيرة أحد خصوم الرسول صلى الله عليه وسلم الألداء استمع إليه وهو يتلو بعض آيات القرآن الكريم فقال : « **و الله قد سمعت من محمد كلامًا ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن وان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وأن أسفله لمغدق** » [2].

[1] ـ الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع ،د ط ، دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان ، ص 13

[2] ـ شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، ط 9 ، دار المعارف ، مصر (د ت) ، ص5.

إن الناظر في كلام الوليد بن المغيرة ما يبين أنهم كانوا يعربون عن إعجابهم ببلاغة القول في تصاوير بيانية .

لقد بدأ تطور البلاغة مع بروز العديد من الكتاب و تأليف الكثير من الكتب نذكر منها : كتاب أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني الذي جاء فيه بنظرية البيان، وكتاب الكشاف للزمخشري ، معجم أساس البلاغة حيث نال شهرة مدوية في العالم الإسلامي الذي استطاع أن يقدم فيه صورة رائعة لتفسير القرآن. نلمس إضافات الزمخشري في المعاني والبيان الذي صور فيه الدلالة البلاغية ، وإحاطته بخواص العبارات وترتيبها في تطبيقات وفصول. بالإضافة إلى كتاب ألوان البديع الذي شرح فيه الكثير من الألوان البديعية.

ثم ازدهرت الدراسات البلاغية فيما بعد إلى دراسات علم البيان والبديع وعدة ألوان من المحسنات البديعية بجميع التفاصيل في الشعر ، والنثر، وهذا التطور الواسع لأدبنا في شكله ومضمونه وأساليبه وفنونه حريٌّ أن يقابله تطور في بلاغتنا ، بحيث تصور فنوننا الشعرية والنثرية وأساليبها المتنوعة التي تكون صورة صادقة لحياتنا الأدبية الحديثة ، وهو ما يمثل المقومات البلاغية الأصيلة للغتنا وشخصيتها الأدبية الخالدة.

المبحث الثاني : علوم البلاغة

01 ـ علم المعاني :

أ) تعريفه :

يعرف السكاكي علم المعاني فيقول « **علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة ، وما يتصل به من الاستحسان وغيره ، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما تقتضي الحال ذكره .** »[1].

يقصد السكاكي أن علم المعاني هو الذي يهتمّ بدراسة طبيعةِ ألفاظ اللغة العربية في تراكيب الكلام بهدف الإفادة ؛ أي التبليغ ، ويشترط على ذلك الاستحسان من المخاطب

[1] ـ الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم المعاني البيان والبديع ، ص 15 .

وذلك حتى يتفادى الوقوع في الخطأ ، بشرط أن تتطابق مع الحال المرتبطة به وبالتالي تختلف طبيعةُ اللفظ مع اختلاف الحال ؛ أي أنه يهتمّ باللفظ من حيث فائدته في المعنى ؛ أي مع الغرض الذي يدلّ عليه في سياق النص.

ب) أقسامه :

يعود علم المعاني إلى الشيخ عبد القاهر الجرجاني بالاعتماد على: القرآن الكريم ، والسُنة النبوية الشريفة ، وأسلوب العرب في الكلام.

وعلم المعاني هو أحد علوم علم البلاغة الثلاثة المعروفة: المعاني والبيان والبديع .

والمقصود من علم المعاني منحصر في ثمانية أبواب لا غير وهي:

أولها :أحوال الإسناد الخبري

ثانيها : أحوال المسند إليه

ثالثها :أحوال المسند

رابعها :أحوال متعلقات الفعل

خامسها :القصر

سادسها :الإنشاء

سابعها :الفصل والوصل

ثامنها :الإيجاز والإطناب والمساواة

02 ـ علم البيان :

أ) تعريفه :

البيان في اللغة يعني الظهور والكشف والفصاحة وله مرادفات لغوية ومنها : الحجة ، المنطق الفصيح ، النشرة الإيضاحية تصدرها الحكومة أو المؤسسات

أما في الاصطلاح فقد وردت تعاريف عديدة لعلم البيان ، لعل أهمها ما ذكره القزويني في كتابه الإيضاح في علوم البلاغة بقوله : « **وهو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه.** » .[1]

البيان كما قلنا سالفا حد من ثلاثة علوم يتضمنها علم البلاغة و الآخران هما المعاني والبديع ، ويعنى البيان كعلم بفنون لغوية عديدة منها التشبيه ، المجاز ، والكناية والاستعارة ، وسنحاول في هذا العنصر توضيحها بشكل بسيط مختصر ، لأنه ليس موضوع الدراسة ، فقط نشير إشارات خفيفة حتى نمهد لموضوع دراستنا دون إفراط ولا تفريط

ب) أقسام علم البيان : للبيان أقسام أربع نوردها كما يلي :

1 ـ التشبيه :

وهو الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى ما ويشترط الخطيب القزويني في التشبيه أن لا يكون على ثلاثة وجوه وهي : الاستعارة الحقيقية ، الاستعارة بالكناية الاستعارة بالتجريد [2].

من التعريف السابق نستطيع القول بأن التشبيه هو التمثيل ، أي أن نقوم بعمل تمثيل بين شيئين بينهما عامل مشترك ، كأن نقول (فلان كريم كالسحاب) ، ونلاحظ اشتمال هذا المثال على جميع عناصر أو أركان التشبيه وهي المشبه به (السحاب) والمشبه (فلان) ، ووجه الشبه (الكرم) وأداة التشبيه (حرف الكاف) .

2 ـ المجاز :

يوحي لنا المجاز لغة إلى حقيقة واحدة وهي التجاوز اللغوي ، فالمعنى اللغوي هنا قارب المعنى الاصطلاحي إلى حد بعيد ، فالمجاز في أي جملة ما يجعل

[1] . الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم المعاني البيان والبديع ، ص 215 .

[2] . المرجع نفسه ، ص217 .

المعنى ينتقل من معناه الأصلي ، ويستعمل في معنى مناسب ، وهو نوعان مجاز لغوي ومجاز عقلي ، فالمجاز اللغوي يكون باستعمال لفظ معين في غير موضعه ، ولكن بوجود علاقة بينهما ومثال ذلك قولنا(زيد أسد) ، فزيد هنا ليس أسدا بالمعنى الحرفي ، بل جاءت مجازا لوصفه بالشجاعة ، أما العقلي فيكون بإسناد عمل ليس له كقولنا مثلا (كان عمر مريضا ولكن الطبيب الفلاني شفاه ، والحقيقة أن الشافي هو الله .

ويرى العديد من الدارسين أن هذا النوع من الأمثلة على سبيل المجاز فقط فالقول بأن الطبيب هو الذي شفاه يكون تجاوزا وليس فيها أي إجحاف أو تعد على الله سبحانه وتعالى غير أن هذا الرأي يبدو لنا غير صحيح ، ويبعد عن المجاز ، بل وفيه تعد من حيث الاعتقاد بأن الطبيب هو الشافي ، في حين يجب على المسلمين الاعتقاد الجازم بأن الله سبحانه وتعالى هو الشافي دون سواه .

3 ـ الكناية :

إن الكناية هي عدم التصريح ، وفي هذا الضرب نقول أمرا ولكن دون التصريح به ، فقد تأتي بما تفيد معنى ما ، ولكن المعنى المراد هو معنى آخر.

4 ـ الاستعارة :

تعتبر الاستعارة نوعا من التشبيه ، وفيها يجب أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفا تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع ، ثم يستعمله الشاعر وغير الشاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقلا لا غير لازم فيكون هناك كالعارية .[1]

[1] ـ ينظر : الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم المعاني البيان والبديع ، ص217.

03 ـ علم البديع :

أ) مفهوم علم البديع :

البديع كما يعرفه الخطيب القزويني محمد بن عبد الرحمان في كتابه **"التلخيص"** هو : « **هو علم يبحث فيه طرق تحسين الكلام ، وتزيين الألفاظ والمعاني بألوان بديعة من الجمال اللفظي والمعنوي** »[1]

من التعريف نلاحظ أن البديع هو تنميق الكلام ، و إعطاء الألفاظ جمالا والمعاني جزالة وجعلهما في أبهى صورهما ، ومثله قولنا عن المولى جل في علاه " بديع السماوات والأرض "؛ أي أبدع في الصنعة والخلق .

ب) النشأة والتطور :

لإعطاء صورة واضحة عن أبعاد هذا العلم وجب تتبع نشأته وتطوره، وأراء الأدباء و النقاد فيه ، و كذلك معرفة القيمة من دراسته و إلزاميتها لطلاب البلاغة العربية، و نقاد الأدب العربي طالما أن الظواهر البديعية تأتي عفوًا أو تكلفًا على ألسنة الشعراء و الأدباء لعنصر من عناصر فن القول.

عرف العرب في شعرهم كل الخصائص الفنية و الأساليب البيانية التي لا تخلو منه صفات الجمال والإبداع ، وكان الشاعر منهم بحسه الفطري وعلى غير دراية منه بأنواع هذه الأساليب البيانية و مصطلحاته البلاغية يستخدمها تلقائيا كلما جاش بنفسه خاطر وأراد أن يعبر عنه تعبيرا بليغا .

وقد اهتدى بعض الجاهليين إلى قيمة بعض هذه الأساليب ما يمت بصلة إلى هذا أو ذاك بما عرف بعدُ بعلوم البلاغة العربية الثلاثة : علم المعاني و علم البيان و علم البديع ، و أخذ علماء العربية بعد الإسلام يهتمون غاية الاهتمام بعلم البلاغة ليستعينوا به في المحل الأول على معرفة أسرار الإعجاز في القران الكريم .

---

[1] ـ الخطيب القزويني ، التلخيص في علوم البلاغة ، تح ، إبراهيم شمس الدين ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، مصر ، 2003 ، ص 5 .

كما تعددت الدراسات التي تعنى بالبديع وألوانه ، فتحدث أهل الاختصاص وأدلوا دلاءهم ، وبينوا آراءهم ، فمن خلال بحثنا هذا لفت انتباهنا قولا لأحمد الهاشمي يقول فيه : « **فعلم البديع تابع لهما ، إذ بهما يعرف التحسين الذاتي وبه يعرف التحسين العرضي ،فباعتبار المعاني والبيان يقال أنه فصيح من حيث اللفظ وبليغ من حيث اللفظ والمعنى، أما باعتبار البديع فلا يقال إنه فصيح ولا بليغ ، لأن البديع أمر خارجي يراد به تحسين الكلام لا غير.**».[1]

يتضح من هذا القول أن دور البديع ينحصر في التحسين فقط ، ولكن نرى أن علم البديع لا ينحصر في التحسين ، بل له دور كبير في الإقناع و التأثير في المتلقي ، كيف لا وهو يحصي ما يفوق الأربعين محسنا بديعيا بين لفظيٍ ومعنوي ، فهذه المحسنات البديعية تضفي على نص الخطابة بلاغة ظاهرة جلية ، يستطيع الخطيب بها أن يلهب الأنفاس ويشعلها ، ويشحذ الهمم ويحفزها ، من هنا جاءتنا الفكرة في إعطاء رأي مغاير والدفاع عنه مستشهدين بما جاد به الزمان من خطباء نعدهم أئمة للخطاب التداولي، فالنظرة التداولية وحدها تستطيع أن تخرج علم البديع من علم يراد به تحسين الكلام إلى علم يفي الغرض في إيصال المعنى الخفي ، بأسلوب شجي ، إلى الأذهان والعقول فيسحرها،وهذا ما سنتطرق إليه في الفصل الثاني من هذه الدراسة .

إن دراسة أصول هذا العلم و الخوض فيها ، وفي تفهمها و تذوقها جديرة بإقناع الدارس أيا كان بأن استبعاد الجانب البديعي عند الحكم على عمل أدبي هو حقا إجحاف له، و انتقاص في الحكم عليه.

ج) أقسام علم البديع :

ينقسم علم البديع إلى نوعيين معنوي ولفظي ويدخل تحتهما ألوان من المحسنات البديعية هي :

[1] ـ أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، المكتبة العصرية ،لبنان د ت ، ص 16.

- **المحسنات البديعية المعنوية :**

المطابقة ، المقابلة ، المبالغة ، الإغراق ، الغلو ، الايفال ،التتميم ، التورية ، التقسيم ، الالتفات الجمع ، التفريق ، الجمع مع التفريق ، الجمع مع التقسيم ، الجمع مع التفريق والتقسيم ، تأكيد الذم بما يشبه المدح ، المذهب الكلامي ، اللف و النشر ، مراعاة النظير أسلوب الحكم والتجريد.

- **المحسنات البديعية اللفظية :**

الجناس ، السجع ، رد العجز على الصدر ، لزوم ما لا يلزم ، الموازنة ، التشريع.

يحصي علم البديع ألوانا كثيرة من المحسنات البديعية اللفظية والمعنوية تفوق الأربعين لونا ، والحديث عن جميع المحسنات البديعية في مقالات الشيخ يتطلب كتبا كثيرة ووقتا أطول حتى نفيه حقه ونحيط بجميع أعماله ، وبهذا سنتطرق في هذا الفصل التطبيقي إلى لونين فقط من كل نوع ، حيث سنقسم فصلنا هذا إلى مبحثين ، المبحث الأول سندرس محسنين بديعين لفظيين يستعملهما الشيخ البشير الإبراهيمي بكثرة وهما(الجناس والسجع) أما المبحث الثاني فسنخصصه كذلك لمحسنين معنويين هما (الطباق والمقابلة) ، هذان الأخيران لا يقل استخدامهما عن سابقيهما في مقالات الشيخ محمد البشير الإبراهيمي .

المبحث الأول : بلاغة المحسنات اللفظية :

I ـ الجناس :

أ) مفهومه :

01 ـ لغة :

جاء في لسان العرب : « **جنس : الضرب من كل شيء ... والجمع أجناس و جنوس ، قال الأنصاري يصف النخل :**

تخيرتها صالحات الجنو س ، لا أستميل ولا أستقيل

والجنس أعم من النوع ، ومنه المجانسة ، والتجنيس ويقال هذا يجانس هذا أي **يشاكله** »[1].

يتضح من التعريف السابق أن كلمة جانس تدل على مجانسة الشيء شيئا آخر أي شاكله في الجنس واتّحد معه .

[1] ـ ابن منظور، لسان العرب ، د ط ، المجلد السادس ، نشر أدب الحوزة ، إيران ،1983 ، ص43. (مادة جنس)

02 ـ اصطلاحا :

جاء مفهوم الجناس عند البلاغيين بعدة تعريفات ، فقد عرفه أبو هلال العسكري بقوله : « **هو أن يورد المتكلم في الكلام القصير نحو البيت من الشعر ، والجزء من الرسالة أو الخطبة كلمتين تجانس كل واحدة منهما صاحبتها في تأليف حروفها**» [1].

وعرفه الرماني «**هو بيان المعاني بأنواع من الكلام يجمعها أصل واحد من اللغة** »[2].

وعرفه قدامة « **هو اشتراك المعاني في ألفاظ متجانسة على جهة الاشتقاق**»[3] .

وعرفه ابن المعتز في كتابه البديع بقوله : « **وهو أن تجيء الكلمة تجانس الأخرى في بيت شعر أو كلام ، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها** »[4].

نلاحظ من التعاريف السابقة أن الجناس : هو أن تتفق الكلمتان واللفظان في النطق ، أو يتقاربان فيهما ويختلفان في المعنى ؛ أي يتجانسان في تأليف حروفهما .

فالجناس من أجمل المحسنات اللفظية وأكثرها اشتهارا، وله أساسه في اللغة وأصالته في الذوق العربي، ودوافعه في الربط والتصور النفسي. ومن وظائفه الأساسية إضفاء الموسيقى في الكلام.

ب)– أنواع الجناس : الجناس في نظر البلاغيين نوعان :

01 ـ الجناس التام :

هو ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان في أربعة أمور وهي : نوع الحروف عددها ، هيئتها ، وترتيبها ، كقوله تعالى : ﴿**ويَوْمَ تَقُومُ السَّاعةُ يُقسِمُ المُجْرِمونَ ما لَبِثُوا**

---

[1] ـ أحمد قاسم ، محي الدين ديب،علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، ط1،المؤسسة الحديثة للكتاب ، لبنان، ص114.

[2] ـ صلاح الدين الصفدي ،جنان الجناس في علم البديع،(د ط)، مطبعة الجوائب، قسنطينة الجزائر،1882، ص 15.

[3] ـ صلاح الدين الصفدي ، المرجع نفسه ،ص15.

[4] ـ ابن المعتز ، كتاب البديع ، ط 1 ، مؤسسة الكتاب الثقافية ، لبنان 2012 ، ص 36.

غَيْرَ سَاَعةٍ ﴾ [سورة الروم الآية 55] ؛ فالساعة الأولى تعني القيامة ، والساعة الثانية تعني مدة من الزمن ولا عبرة في تعريف الأولى وتنكير الثانية[1].

وينقسم بدوره إلى : الجناس التام والمماثل و التام المستوفي وجناس التركيب المرفو.

02- الجناس غير التام:

هو ما اختلف فيه اللفظان في واحد أو أكثر من الأمور الأربعة السابقة ، وهو على أنواع : الجناس الناقص والجناس المضارع ، والجناس اللاحق .

من خلال قراءتنا لكتاب عيون البصائر لاحظنا أن الكتاب حافل بهذا النوع من المحسنات ، وقد أخذنا عينة من بعض ما جاء في مقال عيون البصائر تحت عنوان " **فصل الدين عن الدولة**" حيث يقول : « **ونظرنا نظرة أخرى فإذا هذه القضية قد خرجت من يد الحكومة – بالمعنى الذي نعرفه – للحكومة – وأنها لا تملك فيها رأيا ولا تهتدي سبيلا على ما استباحت في سبيلها من حرمات ، وارتكبت من محرمات ، وأن القضية أصبحت كرة تتلاعب بها الأهواء المتعاكسة ، والمكاتب المتشاكسة ، ففي الولاية العامة مكاتب لكل مكتب في القضية نظر ووجهة هو موليها ، ولكل مكتب غاشية من (رجال الدين) تطرق الأبواب خلسة ، وتقنع من البخت السعيد بالجلسة ، وفي إدارة عامل الجزائر مكاتب أخرى تزاحم وتلقى دلوها في الدلاء ، ويلوذ بها جماعة من (رجال الدين) ، ولكل واحد من عمال العمالات رأي في القضية ومنهاج عمل يجري عليه ، وعلى الدستور الجزائري العفاء ولكل واحد منهم (محاسيب)من رجال الدين ، يفيدون ويستفيدون ، وإن اهتبال العمال بهذه القضية لأمر طبيعي ، لأنها سلطة مجذودة ، وسلطنة غير محدودة ، فهم يخشون أن تفلت منهم ، فهم الذين يولون رجال الدين ويعزلون ، فكيف عن هذه العروش ينزلون وكيف لا يعذرون إذا جاحشوا عنها إلى آخر رمق ؟ »** [2] .

[1] ـ أحمد قاسم ، محي الدين ديب ، علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني ، ص115.

[2] ـ محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ص 101.

نلاحظ أن البشير الإبراهيمي وظف الجناس بكثرة في هذه الفقرة ، ويتمثل في الثنائيات التالية : **(حرمات ، محرمات) (المتعاكسة ، المتشاكسة) ، (خلسة ، جلسة) (عمال ، عمالات) (يفيدون ، يستفيدون) ، (مجذودة ، محدودة) (يولون ، يعزلون ينزلون)** .

نجد من خلال تحليلنا لهذا النص أن الشيخ محمد البشير الإبراهيمي يتحدث عن مسألة مهمة جدا تمس إحدى ثوابت الأمة الجزائرية ، ألا وهي الدين ، حيث يحاول المحتل الفرنسي فصل الدين عن الدولة وذلك تماشيا مع مبادئ دولتهم العلمانية ، لأن المحتل يعرف جيدا أن قوة وعزة المسلمين في دينهم ، لذلك يستعمل الشيخ محمد البشير الإبراهيمي إحدى أهم عناصر المحسنات البديعية اللفظية ، وهو الجناس وذلك للتأثير في المتلقي فالجناس يعطي نغما موسيقيا يؤثر في نفسية السامع ويثير اهتمامه ، ويجعل للكلام إيقاعا مميزا يشد انتباه المتلقي ؛ فالشيخ يريد أن يوصل رسالة إلى الشعب الجزائري من أجل التنبيه إلى المؤامرات التي تحاك ضده من طرف العدو الفرنسي.

وإذا أخذنا الكلمات المتجانسة وأردنا أن نعرف العلاقة التي تربط بعضها ببعض ، نجد أن هناك تناسق كبير بين هذه الكلمات ، حيث تشترك في المعنى إلى حد كبير فمثلا (**حرمات ـ محرمات)** تعد من الجناس الناقص ، ويكمن الاختلاف بينهما في زيادة الميم والحاء ، فالحرمات جمع حرمة وهي ما يحرم هتكه ويجب تعظيمه ورعاية جانبه ، أمّا المحرمات فهي ما يحرم على الإنسان عمله شرعا أو قانونا ، والحرمات والمحرمات يشتركان في نفس الحرمة وهي المحظورات الشرعية التي يحرم انتهاكها ، والتي تترتب عنها عقوبة وحد ، ولكن كل واحدة منهما يؤدي معنى محدد في الجملة ، كذلك إذا أخذنا الثنائية **(متعاكسة ، متشاكسة)** فهي كذلك من الجناس الناقص ، والاختلاف بينهما في العين والشين والكلمتان رغم أنهما متقاربتان في اللفظ ، إلا أن لكل واحدة منهما معنا يميزها عن الأخرى و لكل كلمة غرض محدد في الجملة ، وهكذا باقي الثنائيات إذ أنها تؤدي إلى إثارة الانتباه والنفس تستحسن المكرر مع اختلاف معناه ويأخذها نوع من الاستغراب.

من شواهد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في استعمال الجناس ما جاء في مقال تحت عنوان عيد الأضحى وفلسطين : « **النفوس حزينة ، واليوم يوم الزينة ، فماذا**

نصنع ؟ ... تتقاضانا العادة أن نفرح في العيد ونبتهج وأن نتبادل التهاني وأن نطرح الهموم وأن نتهادى البشائر وتتقاضانا فلسطين أن نحزن لمحنها ونغم ونعنى بقضاياها ونهتم ويتقاضانا إخواننا المشردون في الفيافي أبدانهم للسوافي وأشلاؤهم للعوافي ، أن لا ننعم حتى ينعموا وأن لا نطعم حتى يطعموا ، ليت شعري هل أتى عباد الفلس والطين ما حل ببني أبيهم في فلسطين ؟ أيها العرب لا عيد حتى تنفذوا في صهيون الوعيد وتنجزوا لفلسطين المواعيد ، ولا نحر حتى تقذفوا بصهيون في البحر ».[1]

نلاحظ أن البشير الإبراهيمي وظف الجناس بكثرة من خلال استخدامه للثنائيات المتجانسة **(حزينة – الزينة)** ، **(السوافي – العوافي)** ، **(ننعم– نطعم)** ، **(الفلس والطين – فلسطين)** ، **(عيد– الوعيد)** ، **(نحر– بحر)** ، لأنه يتحدث عن قضية لا تقل أهمية عن القضية الجزائرية ، ألا وهي القضية الفلسطينية التي سكنت قلوب المسلمين في أصقاع الأرض كيف لا والقضية الفلسطينية هي قضية محورية مرتبطة بتاريخ عريق وهي منبع الرسالات السماوية وفيها بيت المقدس أولى القبلتين وثالث الحرمين ، لذلك لجأ الشيخ لاستعمال الجناس الناقص كون هذا الأخير يشد الانتباه أكثر من الجناس التام ، ويترك صدى لدى المتلقي وذلك من خلال النغمة الموسيقية التي تتشكل من خلال الكلمات المتجانسة ، مما يؤدي إلى إعمال الفكر والتفكر في تلك المعاني التي تولد تأثير كبيرا في نفسية السامع ؛ فالشيخ يتحدث عن مناسبة دينية عظيمة يفرح فيها المسلمون ، فحسبه تبقى هذه الفرحة ناقصة وذلك لما تعانيه فلسطين من ظلم وقهر تحت أقدام الصهاينة الطغاة الذين عاثوا في الأرض فسادا وهم لا يختلفون عن العدو الفرنسي ، فهما وجهان لعملة واحدة ، لذلك استعمل الشيخ الجناس الناقص في كلمتي **(حزينة– الزينة)** حتى يثير مشاعر المسلمين ويحسسهم بما يعانيه إخوانهم في فلسطين لكي يتضامنوا معهم ولو معنويا رغم أن المناسبة مناسبة فرح وهو يوم عيد الأضحى المبارك ، كذلك في كلمتي **(السوافي– العوافي)** ، فالكلمتان تختلفان في حرف السين والعين ، وتشتركان في باقي الحروف ، فالعوافي يقصد بها الطيور والسباع والسوافي جمع سافية وهي الريح التي تحمل الأتربة ، وكلا الكلمتين وان اختلفتا في المعنى إلا أنهما تدلان على مدى معاناة

[1] - البشير الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص 526.

الفلسطينيين من التشرد بسبب القهر الذي يمارس عليهم من طرف العدو الصهيوني فصاروا يبيتون في العراء ، لا سقف يأويهم من الأخطار التي تتربص بهم سواء كانت طبيعية ، أو من المخلوقات المفترسة الأخرى ، وهكذا باقي الثنائيات الأخـرى (**ننعم – نطعم**) **(الطين – فلسطين**) ، **(عيد– وعيد)** ، (**نحر – بحر**) كلها تصب في بوتقة واحدة هي إثارة نفسية المتلقي وجلب انتباهه.

ما نستنتجه من مقالات الشيخ البشير الإبراهيمي هو اللجوء إلى استعمال الجناس بكثرة فلا يخلو مقال من مقالاته منه ، وهذا ما زاد أسلوبه رونقا وجمالا فيترك تأثيرا بليغا في نفسية المتلقي وذلك من خلال الإيقاع الموسيقي الذي ينزل على أذن السامع فيثير أحاسيسه ومشاعره .

II ـ السجع :

أ) مفهومه:

1ـ **لغة:** جاء في لسان العرب لابن منظور: « سجع : سجع يسجع سجعا : استقام وأشبه بعضه بعضا ، قال ذو الرمة :

قطعت بها أرضا ترى وجه ركبها إذا ما علوها، مكفأ غير ساجع

والسجع الكلام المقفى ، الجمع أسجاع أساجيع »[1]

الملاحظ من التعريف أن السجع إنما هو التشابه والتماثل

2 ـ اصطلاحا :

جاء في كتاب التعريفات للشريف الجرجاني : « **السجع هو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد في الأخر** »[2]

[1] ـ ابن منظور، لسان العرب ، ص 151 ، (مادة سجع) .

[2] ـ الشريف الجرجاني ، معجم التعريفات ،تح محمد صديق المنشاوي، د ط ، دار الفضيلة ، لبنان ، د ت، ص 101.

يعرف السجع على أنه توافق فواصل الكلمات الأخيرة بين الجمل المتتالية والتي تكون ساكنة الآخر، ويعرفه يوسف الخطيب بأنه : « **تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد** . »[1].

نستنتج من تعريف القزويني أن السجع يكون في النثر ، ويسمى الكلام الذي يستخدم فيه السجع كلاما مسجوعا ، وإذا خلا منه مرسلا ؛ أي غير مقيد بأسلوب معين ،والملاحظ من التعاريف السابقة يتبين كذلك أن السجع فواصله ساكنة الأعجاز يقف عليها المتكلم ؛ لأن الهدف من ذلك هو المزاوجة بينها ، ولا يتم ذلك إلا بالوقف لتدخل حكم الإعراب الذي يقتضيه ، وينقسم السجع إلى ثلاثة أقسام : ما تساوت فقره ، ما طالت فقرته الثانية ، ما طالت فقرته الثالثة.

وخير السجع ما كان بعيدا عن التكلف ، خاليا من التكرار في غير فائدة والهدف منه هو جعل الكلام أكثر قوة وجمالا ، ليكون له أثر حسن في السامع ، لهذا يعتبر السجع من أفضل وسائل الخطيب في إلهاب حماس الشعب ، وحث الجند على خوض غمار الحرب وما إلى ذلك من دواعي الخطابة ، والسجع موطنه الحقيقي النثر .

ب)أنواع السجع: ينقسم السجع إلى ثلاثة أنواع هي :

01ـ السجع المطرف :

ويكون مع اختلاف الوزن كقوله تعالى: ﴿ **مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لله وَقَارا ، وقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوارًا**﴾ [نوح الآية 14] .

02 ـ التصريع :

ويكون بالوزن والقافية معا كقول الهمذاني : **(إنّ بعد الكدر صفوا ، وبعد المطر صحوا).**

[1] – الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني البيان والبديع ، ص 54

03 ـ السجع المتوازي :

وفيه تتساوى الكلمات وتتوازن في العدد والوزن والقافية ، كقوله تعالى : ﴿ **فِيها سُرُرٌ مَرْفوعةٌ ، وأكوابٌ مَوْضوعَةٌ ، ونَمَارِقُ مَصْفوفةٌ** ﴾ [الغاشية 13، 14 ، 15] .

كما أسلفنا الذكر سابقا يستخدم الشيخ البشير الإبراهيمي السجع في مقالاته كثيرا ؛ بل أنه يطغى ويفوق باقي المحسنات البديعية الأخرى ، والغاية التي يريد الوصول إليها من خلال ذلك هو التأثير في المخاطب بكسب انتباهه ومتابعة قراءة مقاله و سنبين ذلك في عدد من المقالات التي كتبها في مجلة عيون البصائر .

يقول البشير الإبراهيمي في قضية فصل الدين عن الدولة في مقاله الموسوم بـ **خصمان ...فمن الحكم؟** ما يلي : « **زين للاستعمار سوء عمله فطغى ، وبغى وكفر وعتا وأتى من الشر ما أتى** ».[1]

تظهر النغمة الموسيقية للسجع في هذه الكلمات البليغة ، حتى أن السامع ليبهره جمالها ، وكيفية توظيفها ؛ فكلمتي طغى وبغى تتابعهما عند السامع أو القارئ يحرك الضمير ويشحذ الهمة ويبين الحق ، ونفس الأمر ينطبق على الكلمات عتا وأتى ، وما أتى ، فالتاء هنا لينة معبرة ، ظاهرة وقد جاءت في سياق يظهر الشر الذي يحاول المستدمر أن يخفيه ، كما أنها جاءت في الماضي ، والفعل في الزمن الماضي يدل على الحدوث ؛ أي أنه قد حدث وانتهى واتضح ، فيقتنع القارئ بهذا القول .

يتكرر السجع في المقالة نفسها ، حيث يقول البشير الإبراهيمي منبها الشعب الجزائري « **في العالم قضايا وخصومات ، بين الشعوب والحكومات ، وما كانت الشعوب في يوم من الأيام أقل من أن تخاصم ، وما كانت الحكومات أجل من أن تحاكم ، بل إن الشعوب في هذا الزمان ، هي مصدر السلطان ، وهي التي تقيم الحكومات وتسقطها وهي التي تبني العروش وتقوضها**»[2]

[1] . البشير الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص 181.

[2] . المرجع نفسه ، ص 182.

نلاحظ تدرجا رهيبا وبلاغة قوية في استعمال السجع في هذه الكلمات التي تؤثر في الشعب الجزائري عموما ، بطبقتيه المثقفة وغير المثقفة ، وكيف يستطيع باتحاده أن يقيم الحكومات أو يسقطها ، وكيف يبني العروش أو يهدمها، عندما نتأمل هذه الكلمات **(خصومات ، حكومات ، تخاصم ، تحاكم ، زمان ، سلطان ، تسقطها تقوضها)** نجد أن فواصلها لها نبرة قوية ، تجعل من الخطاب بليغا ، يؤثـــر في القارئ أيمـــا تأثير.

في مقال آخر يوجه البشير الإبراهيمي خطابا بليغا للمسلمين الجزائريين عنونَه بـ " **القضية ذات الذنب..... الطويل 01** " ، نأخذ فقرة استخدم فيها كذلك هذا اللون من المحسنات البديعية ، يقول « **وتعصب . أيها المسلم . لدينك التعصب الطبيعي المعقول وزد على ذلك القسط الطبيعي جميع ما يرمونك به من أنواع التعصب المرذول ، فإنك لست ببالغ معشار ما عند هؤلاء من التعصب للمسيحية ، ولكن تعصبهم منظم تحرسه القوة فأصبح معدودا في حسناتهم،وتعصبك فوضى يخمده الضعف فأصبح مزيدا في سيئاتك»** [1]

1

تظهر القوة البلاغية في هذه الفقرة على رأس جبل ، ولقد أثرت في أنفسنا أيما تأثير كيف لا وهو يعالج واقعا معاشا فكلمتي **(المعقول ، المرذول)** جاءتا في نسق واحد وعلى وزن واحد .

يتكرر السجع في كل مقالات البشير الإبراهيمي ، ونستشهد بمثال أخر فمما جاء في المقال المعنون **بـ** " **القضية ذات الذنب الطويل 2** "،الوارد في الفقرة الخامسة قوله : **« إن الأصل في هذه المجالس أنها تصارع الحكومات وتناقشها الحساب ، وتردها إلى الصواب وتحارب النزعات الفردية ، كل ذلك لأنها تأوي من الأمة إلى ركن شديد ، أما المجلس الجزائري فإن شأنه غريب و أمره عجيب »**[2] .

إن الكلمتين **(الحساب ، الصواب)** والكلمتين **(عجيب ، غريب)** لها نبر صوتي يقع على الأذن فيضفي نغما موسيقيا يؤثر في المتلقي سواءً بالسمع أو حتى بالقراءة

[1] . البشير الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص 189.

[2] . المرجع نفسه ، ص 192.

؛ لأنه يريد أن يقنع نواب المجلس الجزائريين بأنهم هناك للدفاع عن الجزائريين ، لا عن المستعمِر ، لذا نراه محتارا من مواقف هؤلاء النواب الذين همهم الوحيد هو الولاء لفرنسا .

في رسالة يوجهها البشير الإبراهيمي إلى الطلبة ، كتبها في مجلة عيون البصائر عنوانها **إلـى أبنائي الطلبة المهاجرين في سبيل العلم** ، استهل الرسالة قائلا : « **وأوجـه النداء إلى جميع أبنائنـــا المهاجرين إلى الشرق العربي ، وإلى أطراف المغرب العربي أو إلى أوروبا ـ ثم أخصص ـ المهاجرين إلى تونس لأنهم كثرة ، ولأن في أحوالهم لغيرهم عبرة** » [1] .

نلاحظ أن السجع في هذا المقام أكثـر بلاغة بما يتوافق مع المتلقي ومستواه العلمي ، كيف لا وهم الطلبة وهم نخبة المجتمع ممن سافر إلى بلدان أخرى في سبيل العلم فالسجع في كلمتي (**كثرة وعبرة**) جاء في موقف التخصيص الذي يشرف به الطلبة المهاجرين إلى تونس حتى يجعلهم على قدر من المسؤولية ، ويضيف في البلاغة قدرا من الإبداع و الجمال الفني .

السجع نفسه بأبلغ ما يكون في المقالة نفسها ، وبالضبط في الفقرة التاسعة والتي يقول فيها « ...**فكانوا يقطعون البراري والصحاري والقفار ، ويلقون في سبيله المعاطب والأخطار ، وكانوا يجوعون في سبيله ويعرون ، ويظمؤون ويضحون ، لا يتشكون الفاقة والنصب ، ولا يعدون الراحة ولا التعب** .»[2] .

تكرر السجع في هذه الفقرة كثيرا، فالكلمات :(**البراري ، الصحاري ، القفار الأخطار**)، والكلمات:(**ويعرون ، يضحون**) وكذلك الكلمتين (**النصب ، التعب**) ، فكل ما تقدم من كلمات هي أسجاع رائعة لها فواصل متسقة يُخيل لك وأنت تقرأها أو تسمعها وهي تترى بفواصلها ، وكأن بيتا شعريا يوقظ مشاعرك ، ويوقظ فيك الاعتزاز بهؤلاء الطلبة الذين يضربون في الأرض طلبا للعلم .

[1] . البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ص 215.

[2] . المرجع نفسه ، ص 216 .

عناوين المقالات كذلك كان لها حظ من السجع ، فالمقالة الواردة في العدد 41 من جريدة البصائر عنونها الشيخ البشير الإبراهيمي بـ " **اللغة العربية في الجزائر ، عقيلة حرة ليس لها ضرة** " [1]

يقصد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي من وراء العنوان إنشاء سجع يستلهم فكر القارئ ويدعوه لقراءة المقال ، ليكشف عن مضمون المقالة قبل قراءتها ، فالعنوان هنا بليغ استمد بلاغته من المحسن البديعي (السجع).

في نفس المقالة سالفة الذكر يتكرر السجع مرارا، ففي الفقرة الخامسة يبين الشيخ البشير الإبراهيمي عن الكيفية التي جاء بها الإسلام إلى الجزائر ، وكيف كان للعدل دور في ذلك ، وكيف أن العلم هو الذي طوع البربرية للعربية ، ولقد أبلغ الشيخ بلاغة فذة في وضع المفاهيم المتعلقة بهذا في إطار واضح ولقد أسهم السجع في ذلك أيما إسهام حين قال :« **إن العربي الفاتح لهذا الوطن جاء بالإسلام ومعه العدل ، وجاء بالعربية ومعها العلم ، فالعدل هو الذي أخضع البربر للعرب ، ولكنه خضوع الأخوة ، لا خضوع القوة ، وتسليم الاحترام لا تسليم الإجترام ، والعلم هو الذي طوع البربرية للعربية ، ولكنه تطويع البهرج للجيدة ، لا طاعة الأمة للسيدة .**» .[2]

إن أواخر الكلم في هذه الفقرة جاءت على سجع متوال مثنى مثنى ، ولقد استخدم التثنية هنا كاحتجاج لثنائية هذا الوطن اللتان يدافع عنهما وهما الإسلام والعربية ما أضفى على المقال حجة وبيانا وبلاغة يظهر أثرها في المتلقي الذي يدافع هو بدوره عن ثوابت هذا الوطن التي جاء بها الفاتحون .

من أكثر المقالات كذلك التي شدت انتباهنا من حيث كثرة الأسجاع في المقالة الموسومة بالمعهد الباريسي ، والتي جاء فيها « **وإلى هؤلاء المتقاعسين عن البذل المتضامين عن العذل ، نرسلها صيحة إنذار ، ليس معها أعذار ، ونقول لهم إن كل ما يصيب هذه الحركة المباركة من شلل ، أو يعتريها من خلل ،... ولتعلموا أن كل ما تنفقوه**

[1] . البشير الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص 221 .

[2] . المرجع نفسه ، ص 222 .

في هذا السبيل يعلي ذكركم ، ويزكي أموالكم ، ويعود عيكم وعلى أمتكم بالنفع وإن قبض الأيدي عن الإعانة مسبة ، وسوء مغبة ، وإن مقادير الأموال ، هي أقدار الرجال .»[1]

نلاحظ في القول السابق كثرة السجع ، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على الخلق النبيل الذي يريد البشير الإبراهيمي أن يغرسه في الجزائريين وبخاصة الأغنياء منهم والحجة التي يريد أن يقيمها عليهم في سبيل الإنفاق على المعهد العلمي الذي سوف يكون بإذن الله ذخرا للأمة العربية عامة وللجزائر خاصة . فالاستعمال المتعدد للسجع هنا أقرب ما يكون للشعر منه في مواضع أخرى ، والغاية من ذلك هو إثارة الرغبة في النفوس على الإنفاق والبذل.

تعددت الأسجاع في مقالات الإبراهيمي جميعها فلا تكاد تخلو مقالة إلا ولها نصيب من السجع ، ويستخدمه الإبراهيمي بكثرة على غرار باقي المحسنات البديعية لما لها من الأثر الطيب والنسق الموسيقي الذي يضفي على النفس أثرا بلاغيا ، فلو أردنا أن نأتي على ذكر كل الأسجاع الواردة في مقالاته لما أمكننا ذلك لكثرتها ، ولهذا اكتفينا ببعض الشواهد فقط .

المبحث الثاني : بلاغة المحسنات المعنوية :

ا ـ الطباق : يعتبر الطباق من أبلغ المحسنات البديعية المعنوية

أ) مفهومه:

01 ـ لغة :

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي: « **طابقت بين الشيئين إذا جمعتهما على حذو واحد.**».[2]

يتضح من القول أن الطباق هو أن تجمع بين شيئين على حد سواء .

---

[1] . البشير الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص 230.

[2] . ابن المعتز ، كتاب البديع ، ص 48.

02 ـ اصطلاحا :

و يقال له أيضا: التطبيق ، والمطابقة ، والتضاد ، والمطابقة

ليس بين التسمية اللغوية والتسمية الاصطلاحية أدنى مناسبة ، وذلك لأن الطباق في اصطلاح رجال البديع هو : الجمع بين الضدين ، أو بين الشيء وضده في كلام أو بيت شعر،كالجمع بين اسمين متضادين من مثل : الليل والنهار ، البياض والسواد والحسن والقبح،و الشجاعة والجبن ، وكالجمع بين فعلين متضادين مثل : يظهر ويبطن يسعد و يشقى ، عز ويذل ، يحيي ويميت ، وكذلك الجمع بين حرفين متضادين نحو قوله تعالى ﴿ **لَهَا ما كَسَبَتْ وعَلَيْها مَا اكْتَسبَتْ**﴾ .[سورة البقرة الأية 286]

ب) أنواع الطباق : ينقسم الطباق إلى نوعين لا ثالث لهما :

1ـ طباق الإيجاب:

هو ما صرح فيه بإظهار الضدين ، أو ما لم يختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ **فَأولئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سيئاتِهِمْ حسَناتٍ**﴾ **[سورة الفرقان الأية 70]** ، و قوله عز وجل من قائل : ﴿ **باطِنُه فيهِ الرَّحْمةُ وظاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ العَذابُ**﴾ **[** سورة الحديد الآية 13**]** وقوله صلى الله عيه وسلم « **أفضل الفضائل أن تَصِل من قطعك ، وتُعطي من حرمك وتُعرض عن من ظلمك**» رواه الحاكم وأحمد.

02 ـ طباق السلب:

هو ما لم يصرح فيه بإظهار الضدين أو هو ما اختلف فيه الضدان إيجابا و سلبا نحو قوله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يستَوي الذِينَ يَعْلَمونَ والذِينَ لا يَعْلمونْ**﴾ **[سورة الزمر الأية 9]**

إن الطباق في الآية الكريمة يكمن في الجمع بين الكلمتين **(يعلمون ، ولا يعلمون)** وهو حاصل بإيجاب العلم ونفيه لأنهما ضدان.

من يتفحص مقالات الشيخ البشير الإبراهيمي يلاحظ كثرة استخدامه للطباق وذلك بهدف إعطاء النص الخطابي بلاغة وقوة في المعنى وسنحاول تبيان المواضع التي

استخدم فيها الطباق بنوعيه على السواء طباق الإيجاب و طباق السلب ، خاصة طباق الإيجاب الذي ورد استعماله في الكثير من مقالات البشير الإبراهيمي التي كتبها في مجلة عيون البصائر ، سنذكر منه بعض الأمثلة في ما يأتي :

جاء في المقالة المعنونة بـ " **استهلال** " قوله : « ....**وهذا الإجماع المنعقد بين الضعفاء على الأخذ بجلابيب الأقوياء حتى يؤدوا الحق إلى طلابه.)**[1].

إن الطباق هنا واقع في التضاد الموجود بين "**الأقوياء والضعفاء**"، و هو طباق الإيجاب يصور معاناة المستضعفين من المستعمر الغاشم ، في صورة تبين حكم القوي على الضعيف دون رأفة .

كذلك ما جاء في المقالة المعنونة بـ "**الحقائق العريانة** " في الفقرة الثالثة قول الشيخ محمد البشير الإبراهيمي : « **جاء الاستعمار الفرنسي لهذا الوطن كما تجيء الأمراض الوافدة، تحمل الموت و أسباب الموت، فوجد هذه الأسباب راسخة الأصول نامية الفروع على نسبة من زمنها.** »[2] .

يكمن الطباق هنا في التضاد الموجود بين كلمتي "**الأصول والفروع**" وهو من طباق الإيجاب ، حيث يحاول هنا الكاتب إبراز الخطر القادم من المستعمر ، مبينا أصالة هذه الأسباب وتجذرها ، ومتزايدة الفروع أي مستمرة الحدوث ؛ والحجة استخدامه لأسماء الأفعال (**راسخة ، نامية**) والأفعال (**تحمل ، تجيء)** التي تدل على الحدوث والاستمرار.

في فقرة أخرى يقول: «... **وحارب الإيمان بالإلحاد، والفضائل بحماية الرذائل والتعلم بإفشاء الأمية ، والبيان بهذه البلبلة التي لا يستقيم معها تعبير ولا تنكير.** » [3] .

الطباق هنا يكمن في التضاد الموجود بين الكلمات "**الإيمان والإلحاد**" و"**الفضائل والرذائل**" و"**التعلم والأمية**" ، وكلها طباق إيجاب تبين للقارئ عزم المستعمر على

[1] . البشير الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص 20.

[2] . المرجع نفسه ، ص 21 .

[3] . المرجع نفسه ، ص 22 .

القضاء على مقومات الأمة والعقيدة والتربية والعلم للسيطرة والتحكم في المجتمع مهما كلفه ذلك من خسائر مادية وبشرية .

ورد في فقرة المقالة الموسومة بـ : " **خصمان .....فمن الحكم.. ؟** " قول الشيخ محمد البشير الإبراهيمي : « **مواقفنا المشهودة في هذه القضية هي مبعث الشر بيننا وبين الحكومة فنحن لا نسكت حتى تنصف،وهي لا ترضى حتى نسكت** . »[1] .

استخدم الكاتب في الفقرة السابقة طباق السلب في الأفعال(**نسكت ،لا نسكت**) حيث جاء بالكلمة وضدها ، ونلاحظ أن الطباق الوارد هنا يكمن في الأفعال التي تدل على الاستمرار والحدوث ، حيث جاء توظيفها مناسبا تماما لمواصلة استمرار الجزائريين في الدفاع عن أرضهم ودينهم ، فطباق السلب هذا يكشف عن نزعة تخالف كل ما يجيء به المستعمر ورفض دائم لكل المفاوضات والمساومات الدنيئة .

II ـ المقابلة :

أ) مفهومها :

01 ـ لغة : جاء في لسان العرب المقابلة :« **المواجهة ، والتقابل مثله . وهو قبالك وقبالتك أي تجاهك**»[2].

نلاحظ من التعريف أن المراد من التقابل هو مواجهة شيء لشيء آخر.

02 ـ إصطلاحا :

يعرفها ابن المعتز في كتابه البديع بقوله : « **وتكون المقابلة بأن يؤتى بمعنيين أو أكثر ، ثم يؤتى بما يقابلهما** » [3] .

---

[1] . البشير الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص 179 .

[2] . ابن منظور ، لسان العرب ، ط 1 ، تح ، خالد رشيد القاضي ، دار صبح وايديفوست ، لبنان ، الدار البيضاء 2006 ، ص 18 ، (مادة قبل) .

[3] . ابن المعتز ، كتاب البديع ، ص 60 .

يعطي الخطيب القزويني للمقابلة توضيحا دقيقا حين قال : « **وهو أن يأتي بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ، ثم يقابلهما أو يقابلها على الترتيب والمراد بالتوافق خلاف التقابل** » .[1]

نستنتج من التعريفين السابقين شرطين للمقابلة هما : الترتيب والضد ، وهي من المحسنات البديعية المعنوية ، يتم فيها استخدام معنيين متقابلين أو أكثر ، على أن يلي ذلك معنى يقابله من حيث الترتيب .

إن الغاية منها هو تحسين جودة المعنى وتقوية بلاغته ، فهي تزيد من قيمة العمل الأدبي ؛ أي أنها تجمع بين متضادين ، ضف إلى ذلك أن المقابلة تسهل في التمييز بين الأشياء ، كما قيل قديما **بضدها تتميز الأشياء** .

ومن لطيف المقابلة ما حُكي عن محمد بن عمران التميمي إذ قال له المنصور : « **بلغني أنك بخيل فقال : يا أمير المؤمنين ما أجمد في حق ، ولا أذوب في باطل** »[2] .

ب) أنواع المقابلة :

1 ـ مقابلة اثنين باثنين :

يكثر هذا النوع في الأسلوب القرآني ، حيث يذكر أحيانا ضدين ويقابلهما بضدين لهما في عجزها على التوالي ، مما يجعل الأسلوب في قمة البلاغة جاء في القرآن الكريم قوله سبحانه وتعالى :﴿ **فَلْيَضْحَكُوا كَثِيرًا وَلْيَبْكُوا قَلِيلًا** ﴾ **[** سورة التوبة الأية 82**]** ، فقابل الضحك بالبكاء وقابل القليل بالكثير ، وقوله صلى الله عليه وسلم « **إنَّ الرِفق لا يكون في شيءٍ إلَّا زانهُ ، ولا ينزع من شيءٍ إلَّا شانهُ** ». رواه مسلم .

2 ـ مقابلة ثلاثة بثلاثة :

[1] . الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني البيان والبديع ، ص 353 .

[2] . المرجع نفسه ، ص 353 .

يعتمد العرب بهذا الأسلوب اقتباسا من القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية الشريفة حيث جاء في الذكر الحكيم :﴿ **الَّذينَ يتَبِعونَ النَّبِي الأمِّي الذي يجِدونهُ مَكْتوباً عنْدَهُم في التَوراةِ والإنْجيلِ يأمرُهُم بالمعروفِ وينهاهُم عنِ المُنْكرِ ويُحِلُ لهمُ الطَّيباتِ ويُحَرمُ لَهُم الخبائِثَ ويضعُ عنْهُم إصْرَهُم والأغلالَ الَّتي كانتْ علَيهِمْ فالَّذينَ آمَنوا بِهِ وعزَّروهُ ونَصَروهُ واتبعوا النورَ الَّذي أُنزِلَ معهُ أولئِكَ هُمُ المُفلِحونَ**﴾[سورة الأعراف الأية 157]

ومن أقوال العرب في هذا النوع قول أبي دلامة :

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل [1] .

3 ـ مقابلة أربعة بأربعة :

يكون بذكر أربعة معان ويقابلها أربع معان أخرى لتكمل بعضها البعض ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ **فأمّا منْ أعْطى واتَّقى ، وصدَّقَ بالحُسنى ، فسنيَسِرُه لليُسْرى وأمَّا من بخِل واستَغْنى ، وكذَّبَ بالحُسنى، فسنيسِرُهُ للعُسْرى** ﴾[سورة الليل الآيات من 5 إلى 10]

4 ـ مقابلة خمسة بخمسة :

في هذا النوع يزداد عدد المعاني إلى خمسة في الجملة الواحدة ويقابلها خمسة أخرى مضادة لها لتكمل معناها .

ومنه قول المتنبي :

أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأنثني وبياض الصبح يغري بي . [2]

5 ـ مقابلة ستة بستة :

في هذا النوع من المقابلة يزداد عدد المعاني إلى ستة في الجملة الواحدة ويقابلها ستة أخرى مضادة لها لتكمل معناها ، وهذا النوع نادر جدا وقليل ، ومنه قول الصاحب شرف الدين الأربلي :

[1] . الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني البيان والبديع ، ص 354 .

[2] . ابن المعتز ، كتاب البديع ، 61 .

على رأس عبد تاج عز يزينه وفي رجل حر قيد ذل يشينه [1]

نجد في مقالات البشير الإبراهيمي أن المقابلة حظيت بوافر من الاستخدام، لما لها من بلاغة قوية في توضيح المعنى، وسنكتفي بإيراد بعض الشواهد التي نراها قد تفي بتوضيح الصورة وتقريبها للأذهان .

من بين ما اخترناه في بحثنا هذا ، ما جاء في المقالة الأولى المنشورة في العدد الأول من جريدة عيون البصائر سنة 1947 ، والتي كتبها الشيخ كاستهلال لما يليها من مقالات بليغة، يقول فيها : « **مقبلة غير مدبرة ، لم تخس بأمانة ولم تزن بخيانة**»[2] ، حيث نلاحظ في الجملتين كيف قابل الشيخ الكلمتين مقبلة ، مدبرة ، والكلمات تخس بأمانة، وتزن بخيانة ، حيث اعتمد على الكلمة وضدها في مطابقة مقتضى الحال .

جاء في المقالة الواردة بالعدد الثالث عشر ما يلي : « **تتجاور في الجزائر أديان ثلاثة ، أصلها في السماء وإن أخلد أتباعها إلى الأرض وأساسها التوحيد وإن شانها أهلها بالتثليث أو الوثنية** »[3]، قابل الشيخ في هذه الفقرة الكلمات التالية (السماء الأرض ، التوحيد ، التثليث) ، إن الأضداد المذكورة في الطرف الثاني تساعد في فهم الكلمات الواقعة في الطرف الأول من الجملتين.

نضيف مثالا آخر عن المقابلة ، حيث جاء في المقالة الأولى المعنونة بمدارس جمعية العلماء : « **يغدر النائم ، ولا يغدر المستيقظ**» [4] .

يتضح هنا أن المقابلة جاءت بطباق السلب حين استخدم لا النافية ، فقابل الفعل يغدر بنفيه في الجملة التي بعدها ، في الوقت الذي قابل فيه النائم بالمستيقظ ، لقد جاء هنا توظيف الفعل أنسب لما له من دلالات في الحدوث والمواصلة ، فالنائم دائما يخدع وضده المستيقظ الفطن الذي لا يخدع ، حيث يحاول الشيخ بذلك أن يوقظ الشعب الجزائري

[1] . ابن المعتز ، كتاب البديع ، ص 61 .

[2] . البشير الإبراهيمي ، عيون البصائر ، ص 17 .

[3] . المرجع نفسه ، ص 61 .

[4] . المرجع نفسه ، ص 285 .

ويحرص على عدم غفلته لما يخطط له المستعمر الذي لن يدخر جهدا في سبيل تدمير البلاد وسرقة مقدراتها .

في المقالة التي جاءت بعدها والمعنونة بـ " **إلى أبنائنا المعلمين الأحرار**" يقول الشيخ : « **إننا ـ يا أبنائي ـ كنا أول من نام ، وآخر من استيقظ** » . [1]

يستخدم المقابلة هنا كمحسنٍ بديعي بين الجملتين(**أول من نام**) و (**آخر من استيقظ**) ، حيث قابل أول مع آخر ونام مع استيقظ ، وذلك ليبين فيها مدى تأييده للمعلمين الأحرار ، ويشجعهم على التأسي بآبائهم في الجد والعمل والحزم ، وقد جاءت هذه المقابلة بليغة الأثر بديعة المنظر .

ندعم بحثنا هذا بشاهدين آخرين ، وهو ما قاله البشير الإبراهيمي في الفقرة السادسة : « **وقد نهى ديننا الإسلام عن التقصير في الواجبات ، ونعى التفريط في الحقوق** » [2].

كما قال في الفقرة التي تليها (**قصر آباؤنا وأجدادنا في واجبات اقتضاها زمانهم وفرطوا في حقوق تقاضاها منهم مكانهم**)[3].

إن المقابلة في الشاهد الأول جاءت اثنين باثنين وهما التقصير في الواجبات والتفريط في الحقوق ، وهو نمط يرد كثيرا في القرآن الكريم كما قلنا سابقا ، أما الشاهد الثاني فقد وردت المقابلة ثلاثة بثلاثة ، وذلك حين قابل الكلمات (**قصر** ، **واجبات** ، **زمانهم**) بالكلمات (**فرطوا** ، **حقوق** ، **مكانهم**) وهي من النوع البليغ جدا والذي يتطلب غزارة ورصيد لغوي وفكري ، ولقد استطاع الشيخ في هذين الشاهدين إيصال مغزى الرسالة للمتلقي والتأثير فيه .

نضيف مثالا أخيرا ندعم به دراستنا هذه ، وهو ما جاء في المقال المعنون بـ " **اختلاف ذهنين في معنى التعليم العربي** " الذي نشر في العدد 152 سنة

---

[1] ـ البشير الابراهيمي ، عيون البصائر ، ص 288 .

[2] . المرجع نفسه ، ص 289 .

[3] . المرجع نفسه ، ص 289 .

1951 حين قال: «... **فيجب أن تكون هي صاحبة الرأي الأول في بداياته ، وصاحبة الفصل الأخير في نهاياته** » .[1]

يتضح أن المقابلة في القول السابق جاءت لتؤكد المبدأ الذي تسير وفقه جمعية العلماء المسلمين ، حيث قابل بين ثلاث كلمات في الجملة الأولى (**الرأي ، الأول ، بداياته**) مع الكلمات في الجملة الثانية (**الفصل ، الأخير، نهاياته)** .

وخلاصة القول أن محمد البشير الإبراهيمي وظف المحسنات البديعية في كتاباته ، فلا نكاد نقرأ له مقالا إلا ووجدنا فيه تداخل وتكامل المحسنات البديعية بنوعيها اللفظية والمعنوية .

ويعد السجع من أكثر المحسنات اللفظية استعمالا من طرف الشيخ ، حتى أنه أفرد له مقالا سماه بسجع الكهان ، نسبة لاستخدام الكهان له في الجاهلية حتى يخوفوا و يرغبوا أتباعهم ، ومن الباحثين من يرى انه نوع وسط بين الشعر والنثر ، يقول الدكتور عبد الله الشريط : « **ولئن كان لا يخضع للوزن حتى يكون شعرا ، فإنه مع ذلك يتطلب القافية** » [2] ، ثم يليه الجناس على اعتبار أنه يضفي على الكلام رونقا ويتطلب من القارئ إعمالا للفكر.

أما في مجال المحسنات البديعية المعنوية فخلصنا إلى أن المقابلة كانت لها الغلبة في الاستعمال ثم يليها الطباق ـ على اعتبار أنهما من عائلة واحدة ـ وهذا ما يبين قدرته في استعمال الثنائيات التي تعطي قوة في المعنى وتترك أثرا في المتلقي.

كما نؤكد في نهاية هذا الفصل التطبيقي أن ذلك لا يعني أنه لم يستخدم باقي الألوان بل بالعكس ، فلو تتبعنا جميع المحسنات البديعية لوجدنا لها أثرا واستعمالا ، لكن طول الدراسة وغزارة الرصيد البلاغي للشيخ حال دون ذكرها جميعا .

---

[1] ـ البشير الابراهيمي ، عيون البصائر، ص 313 .

[2] ـ عبد الله شريط ، تاريخ الثقافة والأدب في المشرق والمغرب ، ط 3 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983 ص 31.

خاتمة

توصلنا في نهاية هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج نذكر منها ما يلي:

– كان الأدب الجزائري في وقت المحتل الفرنسي ثريا يعالج قضايا هذا الشعب بفائق الاهتمام ودقة في الوصف وشفافية في النقل، حيث أولى الشيح البشير الإبراهيمي أهمية كبيرة للغة العربية باعتبارها لغة القرآن وانتماء للعروبة فهي عنوان الانتماء والهوية .

– قضية الإستدمار الفرنسي واحتلاله للجزائريين من القضايا التي طرحها الشيخ البشير الإبراهيمي في مقالاته لتوعية الشعب الجزائري بأهمية الثورة ضد الاستعمار الفرنسي فسعى جاهدا لإقناعهم وإرشادهم إلى ما كان يدعوهم إليه موظفا المحسنات البديعية اللفظية والمعنوية .

ـ لغة الإبراهيمي سهلة ودقيقة لا غموض فيها ، فكل قارئ يستطيع فهم مقصوده وهي لا تحتاج إلى شرح وتفسير ، فقد كان البشير الإبراهيمي يختار ألفاظه وعباراته حسب الأغراض التي كان يرمي إليها ، وكان يستعمل أنواع البديع لشرح العبارة وإقناع المتلقي .

ـ لغة عيون البصائر كانت غاية في الاتساق والانسجام فكل لفظة يكتبها إلا وتجدها قد وضعت في مكانها المناسب ، لتؤدي دورها بامتياز ، وعلى هذا الأساس أدت الفنون البديعية عند البشير الإبراهيمي المعنى المقصود بألفاظ جميلة موحية استطاع من خلالها التأثير وإبعاد الملل عنه .

ـ أكثر البشير الإبراهيمي من استعمال المحسنات البديعية من جناس وسجع وطباق ومقابلة حتى يجعل خطابه مؤثرا ومقنعا، وليس الغرض منها التحسين والتزيين فقط .

ـ عيون البصائر احتوت مقالاتها على عدد كبير من الصور والمحسنات البديعية ، وهذا ساهم في ارتقاء لغة هذه المقالات .

ـ مثلت المحسنات البديعية عند الإبراهيمي آلية من آليات الإقناع والتأثير ، إضافة لما تحمله من جمالية تستميل القارئ وتدفعه إلى الاقتناع بما يسمعه ، فلا نكاد تقرأ له مقالا إلا وجدنا فيه كل أنواع البديع تتداخل وتتكامل فيما بينها لتؤدي وظيفتها في إبراز المعنى المقصود ، وإقناع المتلقي وإرشاده إلى ما كان يدعوا إليه .

وتبقى دراستنا هذه قطرة من ماء اليم، ولبنة من صرح العلم ، ولا نحسب أننا استوفينا كل الدقة في ما قدمناه في هذا البحث .... ويبقى البحث في هذا الموضوع متشعبا يتطلب الوقت الكبير، وليس من السهل تغطيته من كل جوانبه ، نظرا لما تكتسيه مقالات محمد البشير الإبراهيمي من حُللِ البيان الساحر، و ثراء اللغة الظاهر ، وبما في طيها من عديد المحسنات البديعة ، التي يحتاج كل محسنٍ منها إلى تفريد في الدراسة ، ويبقى الموضوع قابلا للنقد كما يقبل الإثراء والإضافة .

قائمة المصادر والمراجع

ـ القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم .

أولا : المعاجم والقواميس :

1 ـ ابن منظور : لسان العرب ، ط 1 ، تح ، خالد رشيد القاضي ، دار صبح وايديفوست لبنان الدار البيضاء 2006 .

2 ـ ابن منظور: لسان العرب ، المجلد السادس ، نشر أدب الحوزة ، (د ط)، إيران 1983.

3 ـ الشريف الجرجاني : معجم التعريفات ، تح محمد صديق المنشاوي ، (د ط) ، دار الفضيلة ، لبنان (د ت) .

ثانيا : الكتب :

1 ـ ابن المعتز : كتاب البديع ، ط 1 ، مؤسسة الكتاب الثقافية ، لبنان ، 2012 .

2 ـ أحمد الخطيب : جمعية العلماء المسلمين وأثرها الإصلاحي في الجزائر،(د ط) المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1985 .

3 ـ أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ،(د ط)، المكتبة العصرية لبنان (د ت) .

4 ـ الخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، (د ط) دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان (د ت) .

5 ـ ـــــــــــــــ : التلخيص في علوم البلاغة ، تح إبراهيم شمس الدين ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، مصر ، 2003 .

6 ـ محمد أحمد قاسم ، محي الدين ديب : علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني ، ط 1 المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس ، لبنان ، 2003 .

7 ـ محمد البشير الإبراهيمي : عيون البصائر، (د ط) ، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر،1971 .

8 ـ شوقي ضيف : البلاغة تطور و تاريخ ، ط 9 ، دار المعارف ، مصر، (د ت).

9 ـ صلاح الدين الصفدي : جنان الجناس في علم البديع ، (د ط) ، مطبعة الجوائب قسنطينة ، الجزائر، 1882 .

10ـ عبد الله شريط : تاريخ الثقافة والأدب في المشرق والمغرب ، ط 3 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983 .

11ـ عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني : البلاغة العربية أسسها، وعلومها وفنونها ، ج 1 ط 1، دار القلم الدار الشامية ، دمشق بيروت ، (د ت) .

ثالثا : المجلات والدوريات :

1 ـ مجلة الوعي ، دار الوعي للنشر والتوزيع ، العدد 2 ، الجزائر ، 2010 .

رابعا : مواقع الانترنت

- الزمخشري: أساس البلاغة، تطبيق على الأنترنت، موقع روح الإسلام ، ج 1 ، 2016 . www. islamspirit.com/ info@golden_soft.net

فهرس المحتويات

الموضوع الصفحة

مقدمة ..... أ ـ ب ـ ج ـ د

المدخل .....1 ـ 6

الفصل الأول : البلاغة مفهومها ، نشأتها وعلومها .

المبحث الأول :مفهوم البلاغة ، نشأتها وتطورها..... 7 ـ 9

المبحث الثاني : علوم البلاغة .....,..... 10 ـ 15

الفصل الثاني : بلاغة المحسنات البديعية في مقالات البشير الإبراهيمي .

المبحث الأول : بلاغة المحسنات اللفظية .....16 ـ 26

المبحث الثاني : بلاغة المحسنات اللفظية ..... 27 ـ 35

خاتمة : .....36 ـ 37

قائمة المصادر والمراجع :.....38 ـ 39

فهرس المحتويات : 40